قــوة

قوة بالغة تمثل عظمة الدولة وجلالها ، وعز الدولة وإقبالها ، ومجد الدولة واستقلالها فى مدينة الإسكندرية حين انتهى إليها أمس رئيس الوفد وصاحبه ، وضعف بالغ فى بورسعيد يمثل حلم الدولة ورضا الدولة وامتثالها ، وصبر الدولة واحتمالها إذ طغى المبشرون واحتال المحتالون ، واعتدى المعتدون على الدين والأخلاق ، وعلى الكرامة والأعراض .

أما فى الاسكندرية فيضرب الحصار حول المحطة ويحشر الجند والشرطة من داخل المحطة ، ولا يؤذن للناس باستقبال زعيمهم إلا بمقدار . فإذا خرج رئيس الوفد وصاحبه من المحطة فحدث عن الجند والشرطة ، وحدث عن القوة والبأس ، وحدث عن العدد والعدة ، وحدث عن أخذ الطرق واحتلال المواقع وصد الجماهير ورد المستقبلين ، وحدث عن العصى والسياط ، وحدث عما شئت مما يمثل البأس والسلطان والقوة التى لاتشبهها قوة ، ولاتبلغ بالجنود مائة ولامئات ، ولاترتفع بها إلى الألف ولكن ارفع بها إلى الآلاف . ولم يكن فى الاسكندرية مع ذلك عدوان على دين ولا اقتراف ولا اجتراح لسيئة ، ولا ارتكاب لمنكر ، ولا خروج على أمن ، ولا إفساد لنظام ، وإنما كان زعيمان من زعماء مصر يقصد ان إلى مدينة من مدن مصر فيستقبلهما فيها الناس من أهل مصر ، ليس فى الأمر أكثر من ذلك

وأما فى بورسعيد فتظهر السياسة والكياسة ، ويظهر الهدوء والأناة ، ويظهر ضبط النفس وأخذها بالصبر والانتهاء بها من الاحتمال إلى أقصى مايصل إليه الاحتمال أمام قوم من الأجانب أقبلوا علينا ضيوفا فأحسنا لقاءهم ، وأكرمنا ضيافتهم ومنحناهم الحماية ومنحناهم المعونة ، ويسرنا لهم كل شىء ، ومهدنا لهم كل سبيل فكافأونا أحسن مكافأة ، وجزونا أجمل جزاء ، وعمدوا إلى فتياتنا وفتياننا ، وإلى رجالنا ونسائنا يغوونهم

كوكب الشرق فى ٣ - ٧ - ١٩٣٣ .

ويغرونهم ويفتنونهم فى دينهم ويكرهونهم على الخروج منه والارتداد عنه إن دعت الحاجة إلى الإكراه .

ونحس نحن ذلك ونألم له ونشكو نحن من ذلك ونضيق به ، ونلجأ نحن فى ذلك إلى حكومتنا القوية ذات الحد والجد ، وذات العدد والعدة ، وذات البأس والسلطان ، وذات الحرص الشديد على الاحتفاظ بالكرامة ، وحماية الأنفس والأموال وصيانة العقائد والأخلاق والاغراض ، نلجأ نحن إلى حكومتنا هذه فنستعديها على ضيوفنا هؤلاء فلا تبلغها أصواتنا إلا بعد الجهد والمشقة ولا تحركها شكاتنا إلا بعد الإلحاح وطول العناء ، فإذا بلغتها الأصوات وحركتها الشكوى أظهرت من الاقتصاد فى الجهد والاحتفاظ بالرزانة والحلم ما يضرب به المثل وتحسن به القدوة لهذه الأمم الجامحة التى تسمى نفسها أمما حرة مستقلة .

هناك تطاول الحكومة وتماطل وتصبر الحكومة وتصابر ، وتتكشف الحكومة عن فنون من الذكاء وألوان من سعة الحيلة ، لا لتصد هؤلاء المبشرين عن عدوانهم ، ولا لتردهم عن طغيانهم ، فذلك شيء فوق طاقة المطيق ، بل لتنقذ منهم ما يمكن إنقاذه من ديننا وكرامتنا وأخلاقنا وأعراضنا وحريتنا ولنخلص منهم من يمكن تخليصه من أبنائنا وبناتنا فى هدوء كامل وسلم شامل ومجاملة موفورة وابتسام حلو جميل . ولا يقف أمر حكومتنا فى الهدوء والدعة وفى حب السلم وفى مجاملة المبشرين وملاطفتهم عند هذا الحد فتدع مدارسهم ومعاهدهم قائمة مفتوحة الأبواب ، مبسوطة الرحاب لمن يجرهم إليها الإغراء والإغواء ، ولكنها تملى لهم وتمد لهم فى أسباب العدوان والطغيان حتى يداوروها ويحاوروها وحتى يستأنفوا السعى فى استرجاع بعض من أفلت منهم وخرج عن سلطانهم ، وحتى يحاولوا تعطيل أحكام القضاء ويعطلوها وقتا طويلا أو قصيرا ، لا يقف الأمر بحكومتنا عند هذا الحد ولكنه يتجاوزه إلى ما هو أدل على التسامح وسعة الصدر ورجاحه الحلم ، والحرص على مجاملة الأجانب والتلطف لهم ، وعلى مصانعة الأجانب والرفق بهم . فقد كتب إلينا كاتب من بورسعيد ينبئنا بأن الحكومة تراقب نفسها بنفسها وتعطل أمرها بأمرها وتغل يدها بيدها . نعم كتب إلينا كاتب ينبئنا بأن الحكومة تأتى هذا فى بورسعيد مبالغة فى مجاملة الأجانب وغلوا فى الاحتياط أن يصيبهم من الحكومة أذى أو ينالهم من الحكومة مكروه .

زعموا أن وزارة الأوقاف وهى فيما نعلم وزارة من وزارات الحكومة أعدت خطبة منبرية فى أمر المبشرين ، وأذاعتها على أئمة المساجد لتلقى على المسلمين يوم الجمعة . وفى

هذه الخطبة دعوة معتدلة إلى الله ودعوة مسرفة إلى الحكومة وتهوين لأمر المبشرين . قالوا وانتهت الخطبة إلى بورسعيد ووقعت إلى إمام من أئمة المساجد ، واستعد الرجل لإلقائها ، واستعد المسلمون لاستماعها ، ولكن يدا حكومية أخذت فى عنف ما أرسلته يد حكومة أخرى ، وامتدت يد وزارة الداخلية فأخذت ما أعطته يد وزارة الأوقاف . ولم يستطع الإمام الرسمى أن يلقى الخطبة الرسمية بأمر رسمى فألقى خطبة ما وسعها الناس وتساءلوا وأكثروا من التساؤل وألحوا فيه . فلما قضيت الصلاة ومضى على قضائها وقت طويل ردت الخطبة إلى الإمام ليلقيها إن أراد بعد أن فات موعد إلقائها .

قالوا : وكان الذى مثل وزارة الداخلية فى الحجر على وزارة الأوقاف هو الحكمدار الانجليزى لا المحافظ المصرى . قالوا : وأكبر الظن أن هذا الحكمدار الانجليزى متصل بوزارة الداخلية وبإدارة الأمن العام الأوروبية ، ولعل اتصاله بها أن يكون أشد وأمتن من اتصاله بإدارة الأمن العام المصرية . قالوا : ومعنى ذلك أن إدارة الأمن العام الأوروبية هى التى راقبت مسجداً من مساجد المسلمين ، وحجرت على إمام من أئمة المسلمين وتدخلت فى أمر من أمور المسلمين ، وغلت يد وزارة هى أشد الوزارات اتصالا بحياة المسلمين وشعائر الإسلام .

قالوا هذا كله وكتبوا إلينا بهذا كله ، وأشرنا إلى هذا كله يوم السبت ، وسألنا الحكومة أن تكذبه أو تنفيه فمضى مساء السبت وليله ، ومضى نهار الأحد وليله وانتصف يوم الاثنين ولم تقل الحكومة فى ذلك حرفا ، ولم تنف الحكومة من ذلك شيئا . إما لأن الوزارة كانت مشغولة برئيس الوفد وصاحبه ورحلتهما إلى الاسكندرية واحتشاد الناس لاستقبالهما فيها ، وصرف الناس عن هذا الاحتشاد ومراقبتهم حين عجزت عن أن تصرفهم ، ومراقبة رئيس الوفد وصاحبه فيما يأتيان من حركة وما يلقيان من خطب . وإما لأن الوزارة نفسها كانت متنقلة إلى الأسكندرية تبدأ عملها فى العاصمة الثانية ، فكان الوزراء مشغولين عن التبشير والمبشرين ، وعن الأئمة والمصلين ، وعن الخطباء والحكمدار بالنظر فى مكاتبهم وإصلاح أمرها وترتيب أثاثها ووضع مجالسهم من حيث يقبل الهواء أو يدبر وبما يتبع ذلك من النظر فى بيوتهم ومنازلهم من الفنادق وملاءمة هذا كله لحاجتهم وراحتهم . وأى غرابة فى هذا فحاجة الوزراء هى حاجة الدولة وراحة الوزراء هى راحة الدولة . ومن المعقول أن يشغل الوزراء ببعض أمور الدولة عن بعضها الآخر ، وإما لأن الحكومة لا تجد ما تقول .

والأنباء التى انتهت إلينا من بورسعيد صحيحة ليس إلى تكذيبها أو نفيها من سبيل .

وهذا هو الذى نخافه وهو الذى نتمنى على الله ألا يكون فكثير جدا على وزارة الداخلية أن تغل يد وزارة الأوقاف إلى هذا الحد ، وكان من اليسير ، بل كان من اللازم أن تتفق وزارة الداخلية ووزارة الأوقاف على نص هذه الخطبة قبل أن يذاع . وأكثر منه أن يكون الحكمدار الانجليزى قد أتى هذا الأمر من عند نفسه فراقب وزارة الأوقاف وغل يداً من أيدى الدولة ، وتدخل فى أمر الدين والحكومة لا تعلم شيئا من هذا ولا تسمع به . وأكثر من هذا وذاك أن تصح هذه الأنباء وتسكت عليها الحكومة كأنها لم تكن أو كأنها لا تخالف ما يجب للدولة من كرامة ، وما يجب للدين من الصيانة وما يجب للشعائر من الاحترام.إحدى اثنتين : إما أن يكون هذا النبأ صحيحا فيجب أن تتخذ فيه الحكومة إجراء يلائم الكرامة والعزة القومية . أو يجب أن تفسر لنا موقفها منه على كل حال . وإما أن يكون هذا النبأ غير صحيح فيجب على الحكومة أن تكذبه تكذيبا قاطعا وتنفيه نفيا لا يدع سبيلا إلى الشك والريب .

وما نظن الحكومة ترضى أن يعلم الناس عنها . بمثل هذا التسليم والإذعان ، وما نظن وزير الداخلية يرضى أن يعلم الناس عنه أن موظفا من موظفيه يأتى مثل هذا الأمر دون أن يرجع فيه إلى الوزير . وما نظن وزير الداخلية يرضى أن يظن الناس به أنه أذن لحكمدار بورسعيد فى أن يأتى مثل هذا الأمر ، وما نظن وزير الأوقاف يرضى أن تصبح خطب المساجد خاضعة هى أيضا لمراقبة الانجليز ، ولاسيما حين تكون هذه الخطب صادرة عن الحكومة ، لا عن الشعب ، ولا عن زعماء الشعب . ومهما يكن من شىء فإنا نستطيع أن نؤكد للحكومة أن قصة هذه الخطبة وغيرها من قصص المبشرين أحق بعنايتها وأولى برعايتها وأجدر أن تشغلها فى النهار وتؤرقها فى الليل وأحرى أن تظهر قوتها وسلطانها من رحلة رئيس الوفد وصاحبه إلى الاسكندرية ومن لقاء الناس لهما بما هما أهل له من تحية تصور حبهم الصادق وإجلالهم العظيم .